وسائل التواصل الاجتماعي واللغة العربية - التأثير ومتطلبات الحل

أ. سنان غانم ساتيك

مقدمة

اللغة العربية من أقدم اللغات في تاريخ البشرية وأعرقها؛ وهي لغة القرآن الكريم الذي يعد منبع البلاغة فيها ومرجعها الأساسي، وحضنها الدافئ الذي نمت وترعرعت فيه، وهو الذي حفظها من الضياع والاندثار ومن الشوائب التي خالطتها، خصوصًا في فترات مختلفة عانت فيها اللغة بسبب الضعف والاختلاط، ولا سيما في فترة الفتوحات الإسلامية الواسعة أثناء تمدد الدولة العربية الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، واختلاط العرب بالعجم وانتشار ظاهرة اللحن وفساد اللسان العربي.

كان للعرب في السابق كما هو الحال الآن لهجات متعددة، وكل قبيلة أو منطقة تتكلم بلهجة خاصة بها؛ مثل كسكسة ربيعة وعنعنة تميم وكشكشة أسد، وغير ذلك من اللهجات المختلفة، بعد ذلك نزل القرآن الكريم ووحد اللهجات العربية المختلفة بلسان واحد؛ هو لسان قريش التي كان لسانها أكثر اللغات انتشارًا لأن قريش كانت ذات شأن بين القبائل العربية.

نحن الآن أقطار عربية متفرقة عانت من الاستعمار الذي اتبع سياسات استعمارية من أجل محو اللغة العربية وإحلال لغته محلها، كمحاولة التتريك التي اتبعتها الدولة العثمانية لإحلال اللغة التركية محل اللغة العربية، ومحاولة الفرنسة التي اتبعتها فرنسا في البلدان التي احتلتها لجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية فيها، وما تزال آثار هذه الممارسة واضحة في بلدان المغرب العربي، وإن كانت قد حاولت التخلص من هذه العلة بعد الاستقلال.

المبحث الأول: إشكاليات اللغة العربية في وسائل التواصل

ما سبق ذكره من أجل الدخول إلى المرحلة الراهنة، وللمقاربة بين الواقع منذ ذلك الزمن والواقع الحالي من اختلاف للهجات، فالآن بات انتشار اللهجة العامية على نطاق واسع بسبب قلة الاهتمام باللغة العربية، وغياب الدور الفاعل للمشرفين عليها وعدم الاهتمام بها وانصراف المتعلمين عنها، وتوجههم إلى لغات أخرى.

العصر الحالي هو عصر يتسم بالانطلاق نحو اللغات الأخرى التي صارت قبلة ومقصدًا من مقاصد الشباب العربي، ولا سيما اللغة الإنكليزية لأنها لغة العالم، ولأن الثورة الرقمية محركها الأساسي اللغة الإنكليزية، فيلجأ الشباب العربي إليها من أجل المقدرة على التواصل من خلالها.

إذًا الثورة الرقمية والغزو التكنولوجي باتا أمرًا لا مفر منه، ولا سيما مع انتشار وسائل التواصل التي غدت هاجسًا مؤرقًا للمواطن العربي فوصلت إلى حد الإدمان، خصوصًا أنها أصبحت منبرًا يعتليه الشباب من أجل التعبير عن آرائهم المختلفة، مع ما تعانيه أمتنا العربية من توترات وأحداث دامية، فكان التوجه إليها من أجل إطلاق الأحكام والأفكار والرؤى؛ لأنها صاحبة ريادة في الاتصال مع الآخرين ولأنه لا يوجد ضوابط فيها ولا من يتحكم بها.

الكتابة باللهجة العامية

الأهم من ذلك كله هو مقدرة المستخدمين على التأقلم والتواصل من خلالها وكيفية التعاطي معها، خصوصًا أن هذا الإقبال يلاحظ من قبل الكبير والصغير ومن مختلف شرائح المجتمع، ولا شك في أن من يستخدم هذه الوسائل لا بد أن يكون مختلف الثقافات والهويات والخلفيات الاجتماعية.

ما يهمنا هنا هو قدرة الناس المنتمين إلى بؤر اجتماعية متعددة وثقافات مختلفة على استخدام هذه الوسائل والتفاعل معها باللغة الأم، فأقبل الشباب على اختلاق كلمات

جديدة دخلت القاموس الخاص بوسائل التواصل، وبرز ذلك خصوصًا في ظل الحركات الاحتجاجية والتوترات التي شهدتها المنطقة العربية، فالشعارات التي أطلقت كانت تشتمل على جمل اسمية وفعلية وجمل وشعارات بلهجات عامية، تمثل كل لهجة محلية في كل منطقة من تلك المناطق التي شهدت تلك التحركات، والهاشتاغات كذلك راحت تتلون بين لغة فصحى ولهجات عامية وبين لهجات محلية.

وسائل التواصل الاجتماعي غزت لغتنا العربية، وكان لها أثر بالغ فيها لأن العصر الحالي يتغير بصورة مستمرة كل يوم، والكلمات والمعاني والدلالية باتت تتخذ مناحي أخرى، وراحت تتطور وأصبحت كل مفردة تتجه في معنى آخر غير المرسوم لها، وإن كانت هذه القضية الشغل الشاغل للنحويين واللسانيين منذ بدايات العمل في مجال اللغة، وبتنا نستخدم مصطلحات إنكليزية وأخرى أجنبية بكثرة؛ نتيجة الغزو الثقافي الواضح والممتدة آثاره إلى مختلف أطراف حياتنا.

نحن نلاحظ الكم الهائل من هذه البرامج والتطبيقات التي تضج بها الهواتف النقالة والحواسيب كل يوم بما هو جديد منها، فالناس يتسابقون على شراء الهواتف الذكية؛ والتي تكون مزودة بهذه البرامج وسرعان ما يتداولونها ويتبادلون الأحاديث فيها عبر برامج الدردشة مثل واتسآب وفايبر، أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر ويوتيوب.

برامج الدردشة لعبت دورًا بارزًا في انتشار اللهجات العامية واللهجات المحلية الدارجة في كل بلد عربي، وانتشرت لغة خاصة فيها، هي مزيج من عربية تخالطها الشوائب ومطعمة بكلمات إنكليزية وفرنسية؛ لأن من يستخدمها يكتب باللهجة المحلية الدارجة في بلاده، وينسى أن هناك لغة عربية فصحى هي لغة العرب جميعًا؛ وهي التي تعد الرابط الأساسي في أمتنا العربية.

لكن الخوف من أن تسيطر هذه اللهجة العامية، وتحل محل اللغة العربية الفصحى الأصلية، لأن الأذن عندما تعتاد على سماع الكلمة تصبح هي الدارجة في الذاكرة وتصبح هي الكلمة الأساسية، ويعتقد المستمع أن الكلمة المخزنة في ذاكرته هي الكلمة الصحيحة وما سواها هو الخطأ، ويدعم هذه النظرية رؤية ابن خلدون أن ملكة العربية تكتسب طبيعيًا بالسماع.

نلاحظ أن المستخدم لهذه الوسائل بات يتساهل في التعامل مع اللغة العربية، ويكتب بالطريقة السهلة بالنسبة إليه والمحببة لنفسه. إذًا الكتابة بالعامية هي السمة الغالبة فيها فالمستخدم يكتب بلهجته العامية، وتمتلئ هذه الوسائل باللهجات العربية المختلفة حسب الدول وحسب المناطق في القطر الواحد.

ويعتقد المستخدم أن الكلمة عندما تكتب ستكون مفهومة عند الطرف الآخر، حتى لو كانت غير مكتملة الأحرف مثل «تما» بدلًا من «تمام» أو حتى لو كتبت الأحرف بطريقة معكوسة مثل «تعليم» لو جاءت «تلعيم» لا يقوم بتصحيحها لأن فكرته وصلت للطرف الآخر، وبعضهم الآخر راح يكتب بشيفرات خاصة متفق عليها مثل «ش ع ت» ويقصد «شو عم تساوي»، فيجيب الطرف الآخر بشيفرة مماثلة تكون مفهومة عند الأول، وغير ذلك من الأمثلة التي لا تعد ولا تحصى في هذا المجال.

استخدام الأرقام والكلمات والحروف الأجنبية

ونلحظ في التعليقات كلمات ودلالات ورموزًا، فعندما يخبر أحدهم طرفة ما، نشاهد التعليقات تتضمن ضحكات بحروف تعبر عن هذه الضحكات مثل «هههههههه» أو «خخخخخخخخ»، وفي معظم الأحيان يتم استخدام الحرف الأجنبي مثل «hhhhhhhhhh» أو «hahahahaha» وإن كانت الطرفة تضحكه بدرجة عالية من الانفعال يكتب هذه الحروف بكميات كبيرة تتجاوز السطرين أحيانًا.

وطبعا الهمزة تسقط دائمًا من الكلام، فهو لا يتكبد عناء كتابتها لأن ذلك يحتاج إلى النقر على زر إضافي في الهاتف المحمول أو على لوحة المفاتيح في الكمبيوتر، وربما يكون ذلك بسبب السرعة المطلوبة منه من أجل الكتابة حتى لا يتأخر على الطرف الآخر الذي ينتظر رسالته، وكذلك التاء المربوطة تتحول هاء في كثير من الأحيان، من دون مبرر لهذا التحويل.

ومنهم من راح يستعيض عن الأحرف العربية بشكل دائم بالأحرف الأجنبية، فبدلًا من أن يكتب «كيفك»

يكتبها «kifak» أو من يضع بدلًا من الحرف رقمًا، مثلا حرف الحاء يقابله الرقم ٧ وحرف العين يقابله الرقم ٣ وغير ذلك من الأمثلة.

ونتيجة قرب الأحرف من بعضها في لوحة مفاتيح الكمبيوتر أو في الهاتف المحمول، يكتب حرفًا بدلًا من الآخر عن طريق الخطأ، فلا يقوم بتصحيحه لأن الفكرة المطلوبة تكون قد وصلت، مثل «تكريس» بدل السين يخطئ ويضغط على الشين فيكتب «تكريش».

ونظرًا لمحدودية الأحرف في الرسالة النصية القصيرة، يلجأ المستخدمون إلى كتابة الكلمات متصلة مع بعضها بعضًا، حتى لا تتجاوز الحد المسموح به من عدد الأحرف، والذي بالتالي سيكلفه رسالة أخرى يتحمل أعباءها المادية، وخصوصًا في الكلمات التي تنتهي بحروف لا تتصل بما بعدها مثل الألف والواو والراء مثل «قصيرالقامة».

موقع التغريدات الشهير تويتر ترك بصمته في مجال اتصال كلمات العبارة الواحدة، فهذا الموقع لا يسمح بتغريدة تتجاوز المئة والأربعين حرفًا، فيلجأ المستخدمون إلى وصل الكلمات مع بعضها حتى تعد كلمة واحدة، أو يقومون بإرسال حروف دلالية تعبر عن كلمة مقصودة تكون معروفة ومتداولة في عالم تويتر التواصلي، فمثل هذه المواقع تستخدم لغة خاصة بها تعرف بلغة الدردشة «تشات».

يبقى أثر برامج الدردشة محصورًا بين مجموعة من الأشخاص الذين تجمعهم روابط قرابة أو صداقة، وبالتالي فإن الإطار سيكون محدودًا ومحصورًا في مجموعة معينة من الأشخاص الذين يتواصلون بشكل فردي فيما بينهم أو ينشؤون مجموعات مترابطة.

لا يخفى أن من أبرز مظاهر الوضع اللغوي في بلدان المغرب العربي ما تشهده هذه البلدان من اختيارات لغوية تمارس عبر الوسائل والوسائط الاجتماعية المتاحة كلها، وتخلق سياقات لغوية تتراجع أمامها اللغة العربية أمام اللغات الأخرى، وذلك لمصلحة اللغة الفرنسية الموروثة من الاستعمار، على الرغم من وضعها الرسمي داخل المجتمع وفي مؤسسات الدولة.

أثر وسائل التواصل نحويًا

وسائل التواصل الاجتماعي صاحبة الأثر الأكبر والأخطر هي فيسبوك وتويتر ويوتيوب؛ لأنها تصل إلى شرائح أكبر وتمتد لمناطق بعيدة جغرافيًا، وتخاطب الناس بمختلف القطاعات والنطاقات، وتجمع الكبير والصغير.

القيمون على هذه الصفحات التي تنشأ يكونون من مختلف الثقافات والأعمار، وكل منهم يريد إيصال فكرته بلهجته وبطريقته الخاصة، فيقومون بإنشاء صفحاتهم الخاصة بلهجاتهم المحلية العامية، ويسمونها كما يلفظونها بالعامية.

نحن بالعامية الدارجة دائما نميل إلى نطق جمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر؛ وهذا انتقل إلى وسائل التواصل، فعندما يقوم أحدهم بتسمية صفحة فيها جمع مذكر سالم، لا يجهد نفسه بالتفكير في وضع الكلمة الإعرابي، فيكتب الكلمة بصيغة النصب والجر كيفما كان وضعها وموقعها في الجملة، مثل «مشجعي المنتخب» بدلًا من «مشجعو المنتخب».

لعل حذف النون نقطة تحسب له ولكن حذفها ربما لا ينم عن معرفة، بل تم حذفها بالسليقة لصعوبة لفظ النون وبعدها مضاف إليه، ولعل هذا أيضًا نابع عن استسهال في التعامل، باعتبارها ستكون أقرب للناس وأسرع انتشارًا، بدلًا من اللغة العربية الفصحى التي باعتبارهم ستكون جامدة وغير قادرة على التفاعل، ولا تسمح بانتشار صفحتهم التي تعنى بأمور أخرى غير اللغة العربية.

سعْي الشباب العربي وراء هذا العالم الافتراضي، تم ربما لأنه يوفر له العالم المتاح أمامه ولا يتحمل تبعات ما يكتبه وما يقوله، لأن دخوله في أغلب الأحيان يكون باسم مستعار خوفًا من العادات والتقاليد، ومن أجل أن يكتب ما يجول بخاطره من دون أن يكون هناك رقيب عليه يحاسبه على الأفكار التي يتبناها، ولا يوجد لأحد سلطة عليه تتابعه وتراقبه حول اللغة والطريقة اللتين يكتب بهما.

نطق الحروف يختلف بحسب المناطق الجغرافية، وحسب ما اصطلح عليه القائمون على اللغة العربية، فمثلًا ما تزال مشكلة حرف الـ G الإنكليزي قائمة إلى الآن من دون أن يتم التوافق على رسم موحد لهذا الحرف، وانتقلت هذه المشكلة إلى وسائل التواصل

الاجتماعي؛ ففي بلاد الشام يكتب بصورة حرف الغين وفي مصر بصورة حرف الجيم وفي الخليج بصورة حرف القاف، ولعل أكثر كلمة تعبر عما سبق هي غوغل وجوجل وقوقل في كل منطقة على الترتيب.

نقول إن الناس بدرجات مختلفة، ولا نطالبهم بأن يكونوا على درجة عالية وفهم واسع للغة العربية، فهي ليست من اختصاصهم، ولا نطالبهم بأن يجعلوا اللغة إمامًا في كل تعاملاتهم، لكن أقل ما يمكن أن تكون أساسية في استعمالاتهم الرسمية وفي الخطابات المرتبطة بأمور حياتية أو أثناء إرسال بريد إلكتروني، لأن الضعف لديهم بلغ حدودًا غير مقبولة، فهم يخطئون في قواعد أساسية تعلموها في مراحل دراسية مبكرة.

المبحث الثاني: انعكاسات وسائل التواصل على اللغة العربية

كلام كثير من شتى الفئات والخلفيات يدور في هذه الوسائل، وتدور التحليلات والتعليقات وكل يقوم بطرح الأمور بطريقته ووفق لغته ولهجته، وفي ذلك كله انعكاس على اللغة العربية التي تأثرت بهذه اللغة المتداولة في تلك الوسائل.

انتشار اللهجات العامية وانحدار اللغة العربية

حسب تعريف ابن جني: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. لعل هذا التعريف هو الأشمل والأعم للغة التي اجتهد كثيرون بعده في وضع تعريف جامع لها؛ فكل غرض يريده الإنسان يصدره بصوت هو تمثيل للغة التي ينطق بها كل شخص في هذا الكون، ويترجمه حرفًا ناطقًا بما يريده، فتبرز اللغة المختلفة واللهجات المتعددة بين كل الفئات.

اللغة العربية حاليًا تعاني الضعف والتراجع بشكل واضح لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها الآن، إلا أن وسائل التواصل حاليًا تساهم في انحدار اللغة العربية بشكل كبير، فالنقاط السابقة أبرزت أن اللهجة العامية هي الطاغية في هذه الوسائل على حساب اللغة العربية الفصحى.

وصارت صفحات هذه الوسائل أشبه بلوحة فنية مزركشة بمختلف اللهجات؛ وذلك يساهم في إضعاف اللغة العربية، وتفشي اللهجات المحلية من مختلف مناطق الوطن العربي وانتشارها في بقاع أخرى منه؛ فاللهجة العامية الخليجية مثلًا صارت معروفة مثلًا في بلاد الشام أو مصر والعكس صحيح.

هذا الدور كانت قد لعبته المسلسلات الدرامية في السابق، ولكنه اقتصر على اللهجة السورية والمصرية. أما الآن باتت اللهجات معروفة من المحيط إلى الخليج، ولا سيما اللهجات المغاربية المعروفة بصعوبتها وعدم قدرة الناس في المشرق على فهمها.

من الناحية الأخرى، ظهر العديد من الصفحات التي تعنى باللغة العربية على مواقع التواصل، وكل صفحة اختصت في موضوع معين، منها ما اختص بالنحو أو العروض أو أي فرع آخر، ومنها ما اختص باللغة العربية بشكل عام، ولكن تبقى هذه المحاولات خجولة مقارنة بصفحات فنية أو رياضية أو سياسية أو أي موضوعات أخرى.

فبنظرة سريعة نجد أن عدد المعجبين بهذه الصفحات لا يتجاوز الآلاف، أما الصفحات الأخرى المتخصصة في شؤون غير اللغة العربية نجد أن عدد المعجبين فيها يتجاوز مئات الآلاف وبعضها الملايين؛ وتفسير ذلك أن التوجهات الحالية عند الشباب العربي لا تتعلق باللغة العربية وإنما تتوجه إلى مآرب أخرى؛ إذ صارت اللغة آخر اهتماماته.

انتشار اللغة الإنكليزية على حساب العربية

والسمة الأبرز لهذه الوسائل هي دخول المصطلحات الإنكليزية، انطلاقًا من أسمائها التي غزت مجالات حياتنا كلها، وفي هذا نوع من التمازج بين لغتنا العربية واللغات الأخرى، فكما كانت لغتنا منذ بزوغ فجر الفتوحات الإسلامية منفتحة على تقبل الكلمات الأخرى الدخيلة عليها، نتيجة التمازج والتلاقح بين السكان الذين باتوا يقطنون أرضًا واحدة، ومنهم من دخل الإسلام وجاء حاملًا معه ثقافته.

أمام هذا المد الناتج من التدفق الحياتي واللغوي من هذه المكونات التي عاشت في كنف الدولة الإسلامية، وانضوت تحت لوائها، وجد أسياد النحو في تلك الفترة أنفسهم أمام هذه

الظاهرة، فما كان منهم إلا أن يوافقوا على إدخال هذه الكلمات، ويقبلوا بها لأنها صارت جزءًا من الثقافة العربية ولا يمكن تجنبه، فدخلت معاجم اللغة العربية تحت مسميات عدة.

فالمجتمع بات مطعّمًا بعناصر دخيلة على اللغة العربية ولها ثقافتها ولغتها الخاصة، وهؤلاء اندمجوا بالمجتمع واستخدموا مفرداتهم الأجنبية التي دخلت اللغة العربية، وصارت مستخدمة من قبل العرب والأمثلة على هذه الكلمات كثيرة.

الواضح بعد الاطلاع على عدد من هذه الوسائل أنها ساهمت في انحدار اللغة العربية انحدارًا شديدًا، لما قامت به من أدوار عديدة ساهمت في تهديم اللغة العربية، ولم يسجل لها أي منجز في سبيل تقدم العربية أو الحفاظ عليها.

الآن نحن أمام ظاهرة مماثلة؛ فدخول اللغات الأجنبية إلى لغتنا أصبح واقعًا مفروضًا، ولا سيما اللغة الإنكليزية، اللغة التي تعد اللغة الأولى في العالم وكل شخص ينبغي عليه إتقان القليل منها من أجل القدرة على التفاعل مع متطلبات الحياة الحالية، وخصوصًا في ظل هذه الثورة الثقافية والمجتمعية التي دخلت إلى جوانب الحياة كافة.

وسائل التواصل لم تشذ عن القاعدة السابقة، فكل ما يصل إلينا منها يرتكز بشكل أساسي على اللغة الإنكليزية؛ ونظرا لقدرة اللغة الإنكليزية على التفاعل لا يقوم البعض بتغيير اللغة فيها إلى اللغة العربية، فتبقى اللغة الإنكليزية هي المستخدمة في هذا المجال، وتصبح لغة الكتابة ولغة التواصل والاستعمال، وتنتشر على حساب اللغة العربية.

في المقابل قامت بعض المواقع الأجنبية بإنشاء صفحات لها باللغة العربية من أجل الترويج لها، كل منها في مجال، لكن الخطر الأكبر هو قيام بعض الصفحات على مواقع التواصل بالترويج للكيان الصهيوني، والتركيز على أنه ضحية ونشر ذلك في أوساط العالم العربي من أجل استقطاب التعاطف معه، وإبعاد الناس عن القضية المحورية؛ قضية فلسطين.

الغريب هو الحيرة القائمة في طريقة التعاطي مع المصطلحات التي تنشأ نتيجة التفاعل والتواصل في هذه الوسائل، فهذه الكلمات من الصعب أحيانًا ترجمتها إلى اللغة العربية، وعندما تترجم تكون هذه الترجمة بشكل خاطئ وقاصر أحيانًا؛ لأن الترجمة تمت من قبل بعض الأشخاص ومن دون الرجوع إلى المختصين، فتكثر الأخطاء وتنتشر التأويلات؛ وكل منهم يسوق ما يريد من أجل إبراز رأيه الخاطئ.

ما يلفت النظر أن كتابة كلمة facebook تكتب بالعربية الفيسبوك، «ال التعريف» وجدت بلا سبب لأن موقع التواصل اسمه بدون أداة التعريف بالإنكليزية (the) لكن ذلك تم لأن العامية الدارجة دائما تميل إلى نطق الاسم مع «ال التعريف».

لا بد للترجمة أن تتم من قبل أشخاص مطلعين، ويقومون بتعميم ذلك على مختلف المجالات من أجل استخدامها بالشكل المطلوب أو أن تبقى الكلمة كما هي في لفظها الأجنبي، وتكون كلمة دخيلة على اللغة العربية كسائر الكلمات التي دخلت إليها منذ بدايات التدوين واختلاط العرب مع الأعاجم في البلاد التي فتحوها، وتعرفوا فيها إلى ثقافاتهم ولغاتهم؛ وخير دليل على ذلك أن معظم مدوني النحو وواضعي أسسه من أصول غير عربية كالفارسية.

بقاء الكلمة بصورتها الأجنبية يغلق الباب أمام التأويلات الفردية وغير المبنية على أسس علمية ودقيقة، اللغة تقبل دخول أي مفردة إليها فاللغة كائن حي متجدد تتمتع بقدرتها على الانسجام والتأقلم، وخصوصًا أن لغتنا صاحبة ريادة في هذا المجال.

من الملاحظ أنه في الفترة الأخيرة، وفي ظل ثورة المعلومات والتكنولوجيا انتشر على وسائل التواصل مصطلحات وكلمات تسهل طريقة الوصول والتواصل مع الآخرين؛ ومثال ذلك كلمة هاشتاغ، فالهاشتاغ بات اليوم ضرورة أساسية في وسائل التواصل وعندما قام بعضهم بترجمتها ترجمت بـ «وسم»، وهذه الترجمة تمت بشكل فردي ومن أشخاص يريدون التعامل مع هذه الكلمة ولا يريدون استخدامها كما هي، وقاموا بجمعها من دون العودة إلى مرجع واضح فمنهم من جمعها على وسوم وأوسمة، وإن كان الأجدر بمثل كلمات كهذه أن تبقى على لفظها، كما يرى بعض الباحثين.

نظرًا لفاعلية اللغة العربية

وأهميتها وكونها لغة ينطق بها أكثر من ثلاثمئة مليون شخص، تحاول الشركات المختلفة وشركات الهواتف الذكية استقطاب السوق العربية من خلال إطلاق نسخ خاصة بذلك، وإطلاق صفحات وهاشتاغات على مواقع التواصل باللغة العربية، ولعل هذا يحسب لمصلحة اللغة العربية التي ربما عن طريق أمور كهذه تستعيد القليل من مكانتها التي كانت قد اكتسبتها في عصور سابقة، فاللغة العربية أثرت في اللغات الأوروبية؛ والدليل ما أوردته الباحثة زيغرد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»، أما الآن انقلبت الأمور وأصبحت اللغات الأوروبية تؤثر فيها.

مكانة اللغة العربية في وسائل التواصل

اختلفت الآراء حول تأثير هذه اللغة الجديدة على اللغة العربية، وهناك من برر وجودها وحتى ضرورتها بسبب بروز وسائل الاتصال الحديثة التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأن تأثير الإنترنت على مفردات اللغة المتداولة بين الشباب على مواقع الإنترنت والمدونات وغرف المحادثات ومواقع التواصل الاجتماعي موجود وبشكل واضح.

ويعود ذلك لطبيعة الشبكة العنكبوتية كوسيلة اتصال سريعة الإيقاع، وقد واكبتها محاولات لفرض عدد من المفردات السريعة والمختصرة للتعامل بين الشباب، أو أن الضرورة فرضت نفسها كعدم وجود لوحة مفاتيح تمكن المستخدم من الكتابة باللغة العربية؛ وهذا الأمر يحدث لدى الشباب الموجودين في بلاد الاغتراب، وإن كانت العدوى انتقلت إلى الشباب الموجودين في العالم العربي.

تحتل اللغة العربية المرتبة التاسعة ضمن أكثر عشر لغات استخدامًا على الإنترنت، بنسبة ١٨,٨ في المئة من الناطقين بالعربيّة. ويُفضّل ٦٠ في المئة من الناطقين بالعربيّة تصفّح محتوى الإنترنت باللغة العربيّة؛ فاللغة المفضّلة لتصفّح الإنترنت في مصر ولبنان والسعودية والإمارات العربية المتحدة هي على الشكل التالي: ٦٢ في المئة عربي و٣٨ في المئة إنكليزي. كما يُفضّل ٩٠ في المئة من مستخدمي الإنترنت في السعوديّة الإعلانات على هواتفهم الذكيّة باللغة العربيّة.

وحسب إحصاءات حديثة هناك أكثر من ٢٦٠ ألف مقال عربي في «ويكيبيديا»، تستقطب ٢٤٠ ألف مشاهدة في الساعة. وتقدّر التغريدات باللغة العربيّة نحو ١٨ مليون تغريدة يوميًا، أي ما يُعادل مليار تغريدة كلّ شهرين.

هذه الإحصاءات لمبادرة أيام الإنترنت العربي التابعة لشركة «غوغل». وبحسب إحصاءاتها أيضًا، من المتوقع أن تكون العربيّة رابع أكثر اللغات استخدامًا على الإنترنت بحلول عام ٢٠١٥، على أن يكون المحتوى العربي الإلكتروني ٣ في المئة على الشبكة العام المقبل أيضًا، حيث نمت نسبة استخدام العربيّة على الشبكة بنسبة ٢٥٠٠ في المئة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١١، وفقًا لدراسة حديثة.

بينما نظر الكثيرون نظرة سلبية إلى استخدام لغة أخرى بعيدة بهذا القدر عن اللغة الأم المقدسة في نظرهم ولا يجوز العبث بها، وذلك مكن من ظهور لغة أخرى مقابلة لها يستخدمها الشباب العربي في محادثاتهم عبر الإنترنت، وهي تهدد مصير الحياة اليومية للغة العربية، وتلقي بظلال سلبية على ثقافة الشباب العربي بشكل عام، وعلى لغته العربية بشكل خاص.

لا شك في أن ظهور لغة خاصة بهذا العالم الافتراضي أمر ضروري وحتمي لكل من يريد استخدام الوسائل، لكن من الأفضل أن يكون استخدام هذه اللغة في إطار هذه الوسائل وعدم نقلها إلى أمور حياتية أخرى، لأنه من الملاحظ أنه في الفترة الأخيرة برزت هذه اللغة الافتراضية في أمور بعيدة كليًا عن محورها الأساسي، وصارت منتشرة بكثرة في مواضيع متعددة.

هذه الظاهرة يعدها بعضهم بعيدة عن لغتنا الأصلية، وتعبر عن ثقافة هشة لأن البعض يستخدمها ظنًا أن من يكتب بها هو من فئة المثقفين والمطلعين على الحضارات الأخرى، وأن من يكتب بالحروف الأجنبية هو المتحضر بنظر المجتمع.

المبحث الثالث: متطلبات الحل والحفاظ على الهوية

اللغة مؤسسة ثقافية تختلف باختلاف الشعوب، وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة العقل والفكر الذي يترجم مكتوبًا بحروف من أجل القدرة

على التواصل، وتسهيل الالتقاء مع الفئات والحضارات الأخرى، والقيام بالدور الفاعل في تبادل المعلومات.

متطلبات الحل

الحفاظ على اللغة العربية مسؤولية كل عربي، وهذا الحفاظ يتطلب تضافر الجهود من مختلف الفئات والأطراف، والاهتمام باللغة العربية بالشكل المطلوب. طبعًا الآن الأمور معقدة، ومن الصعب الوصول إلى مختلف الشرائح التي تستخدم هذه الوسائل، لأنها في بقاع مختلفة وتمتلك قدرات ومدارك مختلفة.

ينبغي الانتباه إلى كيفية دخول المصطلحات، وأن يكون هذا الدخول بطريقة مدروسة والانتباه إلى معانيها المختلفة، وإلى الطريقة التي تترجم بها ومن أي الأطراف يتم ذلك، والأهم هو وجود بعض القائمين والمتخصصين الذين يشرفون على عمليات كهذه.

الكلام الذي يتدفق يوميًا في هذه الوسائل يجعل الأمر معقدًا، ولأن كل شخص يعبر عما يريد بطريقته الخاصة، وبلهجته المحلية من دون ضابط أو رقيب على كلامه، ولأن التواصل مع الجميع أمر مستحيل؛ لذا ينبغي وضع بعض الضوابط وتعميمها قدر الإمكان.

لكن هناك بعض النقاط والضوابط التي يمكن أن تحد من هذه الظاهرة، وإن لم تظهر ثمراتها الآن نكون قد وضعنا قدمنا في الخطوة الأولى نحو الاتجاه الصحيح، من أجل تنبيه الأجيال القادمة إلى هذا الخطر المحدق بلغتنا الخالدة.

ومن أبرز هذه النقاط:

١- العودة إلى اللغة العربية الأصيلة، والاهتمام بها من جديد من أجل إحيائها ومقاربتها إلى روح العصر الحالي.
٢- اختيار كوادر تعليمية متمكنة تستطيع أن تهذب اللغة العربية، وقادرة على التواصل مع الأجيال الحالية بطريقة تكون لينة مع هذه الأجيال التي تستخدم وستستخدم هذه الوسائل، فتنتبه إلى طريقة كتابتها وطريقة استخدامها لها.
٣- القيام بنشاطات وفعاليات لغوية مستمرة، وإسقاطها على الواقع الحالي مع ما يعانيه من تطورات وتغيرات، وانحدار وتراجع للغة العربية في مواجهة اللغات الأخرى التي تعد العصب الأساسي في وسائل التواصل.
٤- تعريف الفئات المختلفة بمكانة اللغة العربية وقدراتها الدلالية، وقدرتها على التكيف وانفتاحها على اللغات الأخرى.
٥- تنشيط حركة التعريب والترجمة وتحسين مستوى تدريسها، وتدريس آدابها في مختلف مراحل التعليم والتوسع فيها.
٦- العمل على استخدامها بشكل مكثف في وسائل الاتصال الحديثة.

وفي عصر تتفاعل فيه الحضارات والثقافات واللغات، يجب انعقاد منتديات للنهوض باللغة العربية لتواكب التقدم المعرفي، ولتأخذ مكانتها الطبيعية كلغة علم وبحث ولغة حاضرة على الألسنة لا أن تكون لغة منابر فقط.

الحلول كثيرة ولا تتوقف عند إطار واحد؛ فأي مبادرة مهما كان حجمها وعدد الأعضاء الفاعلين فيها، حتى لو كانت مبادرة فردية، كل ذلك يضعنا في الاتجاه الصحيح ويأخذ بيدنا وبيد الأجيال القادمة، فينثر البذور الأولى في الحفاظ على تراث أمتنا الخالدة.

الحفاظ على اللغة العربية والهوية

تشكل اللغة العربية مكونًا حضاريًا لمجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ فهي لغة الفصاحة والبيان وأداة التواصل والتعبير؛ لذا ينبغي الحفاظ عليها من التهميش والضياع، وذلك من خلال دعوة مجامع اللغة العربية واتحاداتها لإلقاء الضوء على إنجازاتهم تجاه اللغة العربية والتحديات التي يواجهونها.

تعتبر اللغة العربية اليوم لغة من الدرجة الثانية، بعدما كانت في العصور الوسطى صاحبة سيادة وذات أثر طيب في كثير من اللغات ها قد أصبحت اليوم تعاني تراجعًا أمام اللغات الأخرى، ولكي تحافظ اللغة العربية على وجودها في ظل هذا الضغط، عليها أن تتبنى سياسات تستجيب لمتطلبات تنميتها، وتضمن انتشارها واستمرار تطورها بكيفية تمكنها من تعزيز هوية الأمة وتقوي ثقتها بنفسها في المستقبل، لكن يختلف الدارسون حول لغات الدرجة الثانية وهويات شعوبها، وينقسمون إلى فريقين:

١- الأول متشائم يذهب إلى أن لغات الدرجة الثانية محكوم عليها

بالزوال.

٢- الثاني متفائل لاعتقاده أن لغات الدرجة الثانية يمكن أن تنمو وتستمر وهناك من يبالغ بتفاؤله، حين يتعلق الأمر باللغة العربية، فيرى أن اللغات المحكوم عليها بالتطور والبقاء بل بالخلود.

إذا كانت اللغة جزءًا من التراث وعنصرًا من عناصر هوية الأمة التي تشمل العادات والفنون والتقاليد، فإنها تبقى أهم جزء من التراث، وأهم عنصر في الهوية، لأنها الوعاء الذي يحفظ التراث والعنصر الذي يعد خزانة الأمة ومرجعها الأساسي.

ازدواجية اللغة المنتشرة في الفترة الحالية تساهم في تشتيت الهوية، وتسمح للغة الأخرى بالنمو على حساب اللغة الأساسية؛ فاللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيّد به الفكر ويستقيم، وهي حجر الأساس في روابط الأمة العربية التي يجب علينا تنشيطها من جديد، لنمضي في طريقنا الطويل من أجل أن تعود هويتنا العربية واحدة كما كانت في السابق.

علاقة اللغة بالهوية علاقة جدلية تفاعلية؛ إذ ليست اللغة أداة للتعبير ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد فحسب، لكنها شأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي، وهي الموروث الثقافي الذي يعبر عن حال أمتنا العربية، والخزان الذي يحفظ التراث العربي.

اكتسبت اللغة العربية مكانتها من السلطة الرمزية التي حظيت بها داخل نسق التراث الفكري والثقافي، وظلت العربية كذلك بضعة قرون تتراوح بين الازدهار والانحسار، وتعكس صورة الأحوال السياسية التي كانت تضطرب بين مد وجزر وصعود حضاري وهبوط ثقافي مفاجئ.

ووصف ابن حزم الظاهري الأندلسي ت ٤٥٦هـ حالة الاهتزاز التي تتعرض لها اللغة «اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يُقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم ....».

لم يفت ابن خلدون أن يقرر أن اللغات «إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها في المشرق والمغرب لهذا العهد عربية ....».

اللغة العربية في ظل أزمة السطو التي تتعرض لها لم تفقد مركزيتها، وهي على تفاوت بين الدول العربية في التربية والتعليم، ونالها نصيب كبير من التطور والنماء، في معجمها ومصطلحاتها وميادين الكتابة الجديدة ومجالات الإبداع والمعارف الإنسانية، فأسهمت بذلك في معالجة معضلة الهوية المهددة.

اللغة أداة ضرورية في مجال الاندماج الثقافي بين الشعوب، وإن كانت تتعرض لكثير من الاختراقات والتمازج مع اللغات الأخرى، الأمر الذي يغني أي لغة، ويدخل إلى مخزونها كلمات جديدة تتفاعل مع بعضها، وتفتح معاني ودلالات أخرى للكلمات.

العصر الحالي عصر التكنولوجيا والانطلاق بالمعارف والمدارك إلى أبعد الحدود، واللغة السائدة فيه هي اللغة الإنكليزية التي تعد نسغ الحياة الحالية؛ إذ يعدها البعض خطرًا جاثمًا على صدر اللغة العربية، لكن هناك فريق يرى أنها أساسية وضرورية؛ لأن متطلبات الحياة العصرية تتطلب من الشخص أن يتقنها لكي يكون قادرًا على الانخراط في المجتمع.

اللغة الإنكليزية لا تشكل خطرًا يهدد هوية اللغة العربية، فكم من أشخاص استطاعوا التوفيق بين اللغتين، إذ من المعتقد أن الخطر الأساسي الذي يهدد الهوية العربية هو الابتعاد عن تعلمها من قبل أبنائها، حتى أن بعضهم بات يكنّ كرهًا لها، فكثيرًا ما نسمع من طلاب حاليين أو أشخاص عندما كانوا طلابًا يقولون إنهم يكرهون العربية ولا قدرة لهم على تعلمها.

تحمّلت العربية نتيجة سياسة التبعية للغرب الكثير من الأعباء التي شوهتها، فكانت هدفًا أساسيًا للاستعمار الذي سعى جاهدًا إلى القضاء عليها واستبدالها بلغته؛ لأنها وطن المعرفة ومصنعٌ للهوية والشخصية العربية ومرآة للهوية.

إننا أمة تعمل على ضياع هويتها اللغوية، ولا بد لها من الانتباه إلى ذلك، فالتحديات والصعوبات التي تواجه اللغة العربية كثيرة وخطيرة، وكل الأمل أن نستطيع الوقوف في وجهها من أجل صون لغتنا الخالدة، ولنحافظ عليها من الضياع.

تبقى قضية الهوية قضية شائكة،

خصوصًا أن أرضنا العربية كانت منذ فجر التاريخ مستهدفة من القوى الاستعمارية، وما تزال إلى الآن محط أنظار قوى الاستعمار الحديث. وكل العوامل التي تجمع العرب تدخل في صلب هذه القضية، ليس فقط اللغة؛ إذ لا بد من توحيد الجهود للحفاظ على الركن الأساسي في هويتنا، فأمتنا الجامع الأساسي بين الثقافات.

إن صيانة لغة الضاد من خطر الامّحاء والضياع هي صيانة للهوية العربية وصيانة للأمن القومي.

المصادر والمراجع

http://languageandglobalization.blog-٠٢/٠٣/٢٠١٢/blogspot.com post.html

http://www.alrakoba.net/index.htm صحيفة الراكوبة

http://www.alukah.net

http://www.arabicwebdays.com/front/index.aspx مبادرة أيام الإنترنت

http://www.majma.org.jo/majma/index.php مجمع اللغة العربية الأردني

ابن جني، الخصائص، نسخة إلكترونية

أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، مؤسسة الرسالة

برامج الدردشة، واتسآب، فايبر

د. تركي صقر، شبكات التواصل الاجتماعي ومخاطرها على اللغة العربية

د. عماد الدين تاج السر فقير عمر، اللغة العربية ووسائط الإعلام المتعددة، قراءة في لغة التآنس (الدردشة) عبر مواقع التواصل والهواتف النقالة

زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة بيروت

عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة

مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

مقدمة ابن خلدون، الفصل الثاني والعشرون، في لغات أهل الأمصار

موقع التواصل الاجتماعي تويتر

موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك

موقع العربي الجديد